وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي / ليبيا
الجامعة الأسمريّة للعلوم الإسلاميّة
كلّيّة أصول الدّين
قسم التّفسير والحديث

اللغة العربيّة بين الواقع والتّطلّع

الباحث : زياد محمد الذريوي

لغتنا العربيّة بين الواقع والتّطلّع

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبي الأمين وعلى آله وصَحبه الطّاهرين.

وبعد ،،،،

إنّ من مُعطيات التّقدم والرّقي لأيّ أمّة اهتمامها وحرصها الشّديد على إتقان لُغتها وصُمودها أمام مدّ اللُّغات الدّخيلة، فاللُّغة تعتبر جزءاً مُهمّاً من مكونات الهُويّة . وكلُّ أُمَّة ترنو إلى التَّقدم والرُّقي والعلو على صهوة النَّهضة والتَّطور تقوم بتطوير لُغتها تطورياً يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ولا تكتفي بذلك فحسب بل تُسخِّر كلَّ الطَّاقات والجهود لتصدير لُغتها بعد الاكتفاء الذَّاتي .

واللُّغة بصفة عامَّة هي عبارة عن وعاء من المفردات لاحتواء المعاني ، وهذا الوعاء يختلف حجمه وسعته وعمقه من لُغة إلى أُخرى، ولا شكَّ أن اللُّغة العربيّة هي أوسع وأعمق وعاء لاحتواء المعاني، ولكنّ المشكلة التي تعاصرها اليوم تكمن في قلّة الاهتمام والرّعاية على مستوى الفرد وعلى مستوى الدّولة ، وبالأخصّ في الجانب التّعليمي القائم على التّلقين والنّمطية والرّتابة في الأسلوب والأداء ، بشكل أحدث فجوة وجدانيّة بين الطالب وبين لُغته التي تُمثّل حيّزاً كبيراً من هُويّته ، وبالتّالي الضّعف العام في اللّغة العربيّة ، في حين أنّ المدّ الغربي يقوم بدورات مكثّفة لتعليم لُغته وتصديرها ونشرها بطرق شيّقة وممتعة وبسيطة تواكب متطلبات العصر، وتركّز على الجانب العملي والتّطبيقي بعيداً عن التّعقيد والأساليب التّقليدية القائمة على نمطيَّة المحاضرة، واستبدالها بما يسمّى اليوم : ((بمتعة التّعلم)) حتى افتعلوا من لُغتهم لُغة علميَّةً عصريَّةً عالميَّةً.

وانطلقاً من ذلك جاء هذا المقال متناولاً مفهوم القواعد النّحوية وأهدافها، مستعرضاً لبعض الطُّرق التي تدرس بها، وكيف يمكن الاستفادة من التّقنيات الحديثة من مواقع وبرامج رقميّة لترسيخ هذه القواعد، مركّزاً أشدّ التّركيز على الجانب العملي والتّطبيقي باعتباره أصلاً وقاعدة للُّغة،وإعطائه الحجم الأكبر من الاهتمام، بحيث نجعل من اللُّغة العربيّة لُغة حيّةً تستقيم عليها ألسنتنا ،فكلَّما ابتعدنا عن نمطيّة المحاضرة والتَّلْقين النَّظري استطعنا أن نحقّق الأهداف المرجوّة من تعليم القواعد النّحوية .

أهميّة البحث :

1/ بيان كيفيّة تعليم القواعد النّحويّة .

2 /بيان بعض الأخطاء الشّائعة في تعليم اللّغة العربيّة .

مشكلة البحث :

نجد اليوم هذا الزَّخم الهائل من الأخطاء اللُّغويّة المنتشرة في كلِّ مكان، ابتداءً بالمدرسة ومروراً بأسماء الشَّوارع والأسواق ،وفي المواقع الرَّقميّة على شبكة المعلومات الدَّوليّة وفي الرَّسائل الإداريَّة ، وفي العلامات التّجاريّة ، لتعتصر ألماً على الأخطاء اللُّغويّة الفاضحة في مواقع :((الدردشة)) أو ما يُسمَّى :((بالشّبكات الاجتماعية))، وانتهاءً بهذا البحث والبحوث العلمية الأخرى، حيث نجد الخلط بين لُغة العوام واللُّغات الأخرى وتداخل المصطلحات الغربيّة مع العربيّة ممّا أنتج هجيناً لُغويّاً ممسوخَ الهوية ، والطَّامَّة الكبرى أنهم ينسبون هذا اللَّقيط اللُّغوي إلى العربيّة وهي منه براء، والبعض

يُخلي نفسه من المسؤوليّة تجاه هذا الوضع المزري تحت ما يُسمَّى بنظريّة المؤامرة ،أو ما أسميها بنظرية :(المرض الوهمي) فهي أوهام وطلاسم بعيدة كل البعد عن الواقع زاعماً أنّ التّأخر اللُّغوي إنّما هو نتيجة طبيعيّة للاحتلال الأجنبي ويرمي كلَّ ثقل المعادلة على الاحتلال، والحقيقية هي أن موطن الضعف والخمول يكمُن في داخلنا (وبالأخصِّ في مجال تعليميّة النحو والبلاغة والنصوص)،ولكنَّنا نكابر ولا نريد الاعتراف به .

أهداف البحث :

1/ الإسهام مع إخواني البُحّاث في إيجاد طرق جديدة مبتكرة لتعليم اللّغة العربيّة .

2 / معرفة مواطن الضُّعف وأسبابها وكيفيّة معالجتها .

المنهج المتّبع في البحث :

سيتم اتّباع المنهج الوصفي التّحليلي.

رضيّة البحث:

يمكن تعليم اللّغة العربيّة بطرق جديدة ومبتكرة تواكب العصر.

الدّراسات السّابقة :

رجعت في هذه الدِّراسة إلى المنهج المقرر للسنة الرَّابعة لقسم التفسيروالحديث بالجامعة الأسمريّة للعلوم الإسلاميّة في مادَّة طرق التدريس الخاصَّة،وأستاذها الدّكتور: محمد عويس،وتجربتي الخاصّة،مُستأْنساً بتوصيات الملتقى الأوّل للجامعات الأفريقيّةالمعنيّة بتدريس اللُّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة في الدُّول النَّاطقة بغير العربيّة الذي استضافته الجامعة الأسمريّة في ليبيا 2009م.

وفي إطار ذلك جاءت هذه المداخلة بعنوان : ((اللغة العربيّة بين الواقع والتّطلّع)) فإن أصبت فبتوفيق من الله عزّ وجلّ وإن أخطأت فمن نفسي .

مقدّمة

إنّ من مُعطيات التّقدم والرّقي لأيّ أمّة اهتمامها وحرصها الشّديد على إتقان لُغتها وصُمودها أمام مدّ اللُّغات الدّخيلة والمسخ اللُّغوي، واللُّغة تعتبر جزءاً مُهمّاً من مُكوّنات الهُويّة . وكلُّ أُمَّة ترنو إلى التَّقدم والرُّقي والعلو على صهوة النَّهضة والتَّطور تقوم بتطوير لُغتها تطورياً يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ولا تكتفي بذلك فحسب بل تُسخِّر كلَّ الطَّاقات والجهود لتصدير لُغتها بعد الاكتفاء الذَّاتي .

واللُّغة بصفة عامَّة (حسب وجهة نظري) هي عبارة عن وعاء من المفردات لاحتواء المعاني،وهذا الوعاء يختلف حجمه وسعته وعمقه من لُغة إلى أُخرى،ولا شكَّ أنّ اللُّغة العربيّة هي أوسع وأعمق وعاءٍ لاحتواء المعاني،لكنّ المشكلة الّتي تعاصرها لُغتنا اليوم تكمن في قلّة الاهتمام والرّعاية على مستوى الفرد والمُؤسّسة والدّولة ، وبالأخصّ في الجانب التّعليمي القائم على التّلقين والنّمطيّة والرّتابة في الأسلوب والأداء ،بشكل أحدث فجوة وجدانيّة بين الطّالب وبين لُغته الّتي تُمثّل حيّزاً كبيراً من هُويّته، وبالتّالي الضّعف العام في اللّغة العربيّة،في حين أنّ المدّ الغربي يقوم بدورات مُكثّفة لتعليم لُغته وتصديرها ونشرها بطرق شيّقة وممتعة وبسيطة تخدم اللُّغة وتواكب متطلبات العصر وتركّز على الجانب العملي والتّطبيقي، بعيداً عن التّعقيد والأساليب التّقليدية القائمة على نمطيَّة المحاضرة، واستبدالها بما يسمّى اليوم:((بمتعة التّعلم)) حتى افتعلوا من لُغتهم لُغة علميَّةً عصريَّةً عالميَّةً.

وهذا التّأخُّر في الجانب التّعليمي للُّغة العربيّة انعكس سلباً على مُجتمعنا،وأدَّى إلى هذا الزَّخم الهائل من الأخطاء اللُّغويّة المُنتشرة في كلِّ مكان،ابتداءً من المدرسة ومروراً بأسماء الشَّوارع والأسواق ووسائل الإعلام،وفي المواقع الرَّقميِّة على شبكة المعلومات الدّولية ، وفي الرَّسائل الإداريَّة ، وفي العلامات التّجاريّة ، لتعتصر ألماً على الأخطاء اللُّغويِّة الفاضحة في مواقع :((الدّردشة)) أو ما يُسمَّى :((بالشّبكات الاجتماعية))، وانتهاءً بهذا المقال والبحوث العلميّة ، حيث نجد الخلط بين لُغة العوام واللُّغات الأخرى وتداخل المصطلحات الغربيّة مع العربيّة ممّا أنتج هجيناً لُغويّاً ممسوخَ الهُويّة، والطَّامَّة الكبرى أنّهم ينسبون هذا اللَّقِيط اللُّغوي إلى العربيّة وهي منه براء، والبعض يُخْلي نفسه من المسؤوليّة تجاه هذا الوضع المُزري تحت ما يُسمَّى بنظريِّة المؤامرة والغزو الثّقافي ....إلخ ،أو ما أُسمّيها بنظرية :(المرض الوهمي) – وهي أوهام وطلاسم بعيدة كل البعد عن الواقع – زاعماً أنّ التّأخر اللُّغوي إنّما هو نتيجة طبيعيّة لفترة الاحتلال الأجنبي والغزو الثّقافي ويرمي بكلَّ ثقل المعادلة على الاحتلال،متجاهلاً أنّ موطن الضُّعف والخمول إنّما يكمُن في داخلنا (وبالأخصِّ في مجال تعليميّة اللّغة)،ولكنَّنا نكابر ولا نريد الاعتراف به .

الواقع:

وفي هذا المقال سأُسلّط الضّوء على اللّوحات الإعلانيّة المنتشرة في ليبيا بطريقة عشوائيّة وغوغائيّة تَغُصُّ بالأخطاء الإملائيّة والأُسلوبيّة والنّحويّة، منتهكة بذلك حرمة اللُّغة العربيّة وقواعدها، بل وأحيانا كثيرة تعتبر تلك اللُّوحات الدّعائيّة انتهاكاً صريحاً لقيمنا ومبادئنا ،وطَمْساً لهُويَّتنا وانتمائنا بما تحمله من مظاهر التّبرج و التّفسُّخ والانحلال ،ضاربةً بعرض الحائط قِيم مجتمعنا المحافظ.

إن الأعجمي قبل العربي يقف مذهولاً أمام أزمة الهمزات بين وصل وقطع،وأمام إشكالية التعريب وفوضى المصطلحات وغيرها، ممّا يضعنا موضع سخريّة واستهزاء، فمثلاً تجد لوحةً كُتب عليها **(شارع بن غلبون)** علماً بأنّ القاعدة النّحويّة–

حسب اطلاعي المتواضع – تفيد بأنّ ألف (ابن) هنا يجب إثباتها (**شارع ابن غلبون**) وذلك لأن (ابن) لم تقع بين عَلَمَيْن أوّلُهما ابن للثّاني،علاوةً على أن (ابن) في هذه اللّوحة كُتبت في بداية السّطر،هذا هو المُجمع عليه،بعيداً عن القواعد الشاذة – إن وجدت أصلاً – وبعيداً عن الشّطط اللُّغوي.

وتلفت انتباهك تلك اللُّوحة المُضيئة البرّاقة وهي دعاية لزيت نجمة كُتب عليها (**إنت نجمة**). لم أسمع يوماً بأنّ همزة أنت تُكتب مكسورة تحت الألف،راجعت ذاكرتي أكثر من مرة فلم أجد مبرراً لكتابتها بهذه الطريقة المُخجلة ، و الصحيح هو كتابتها (**أنت نجمة**) بهمزة مفتوحة فوق الألف.

ولوحة دعائيّة أُخرى لإحدى دور الطّباعة بجوار السُّوق المُغلق كُتب عليها (**إسم تحتاجه**) بقطع الهمزة ،والصّواب وصلها (**اسم تحتاجه**).والخطأ يتكرّر في لوحة دعائيّة لإحدى عُلب العصير وقد كُتب عليها (**إنتعاش طبيعي**) بقطع الهمزة والصّحيح وصلها (**انتعاش طبيعي**)،و نفس الخطأ في لوحة دعائية لأحد مكاتب المحاماة كُتب عليها (**مكتب المحامي ..... للمحاماة والإستشارات القانونية**) بقطع همزة الاستشارات والمتعارف عليه وصلها (**للمحاماة والاستشارات**).

وتعض على يديك حسرةً أمام تلك اللَّوحة الدّعائيّة لإحدى شركات تحلية المياه وقد كُتب عليها (**مين يقدر يقاوم**) بإضافة ياء بعد الميم المكسورة ، أنا لم أسمع بهذه الكلمة في مجتمعنا، ولا أعتقد أنها مستخدمة حتّى في لهجتنا المحليّة ،ألا تعتقدون أنّ هذه الكلمة مُستوردة من لهجة العوام لإحدى دول الجوار، وأنها دخلية على لُغتنا العربيّة علاوةً على أنّها دخيلة على لهجتنا المحليّة. أليس الصّواب هو كتابتها(**من يقدر يقاوم**) بحذف الياء وفتح الميم ؟ ، وعندما بحثت في أحد المعاجم اللُّغويّة وجدت كلمة مشابهة لها وهي (المَيْن) وتعني الكذب، وهي بعيدة كلّ البعد عن سياق الدّعاية. وعندما تقف بسيارتك أمام إحدى الورش لصيانة السيارات فإنك ستعجب أشد العجب من تلك التعبيرات والمصطلحات(المجهولة الهُويّة) وقد كُتبت بخطٍّ في قمّة البشاعة، يزعمون أنّه بلغة عربيّة .

والأخطاء اللُّغوية كثيرة جدّاً لا مجال لحصرها حتى أصبح من النّادر أن تجد لوحة إعلاميّة سليمة اللُّغة، ولا نُبالغ إذا قلنا: إنّ الجري وراء المادة وكسب الأموال كان على حساب لُغتنا وعلى حساب قيمنا ومبادئنا.

أهكذا يفعل بلغة القرءان ! ،ماهذه الانتهاكات اللُّغوية؟؟ وماهذا المسخ اللُّغوي ؟؟ ، أين دَور القضاء؟، أين دور الحسبة والمحتسب ؟، أين دور الجامعات وتفاعلها وتَأَثُّرها وتَأْثِيرها في المجتمع ؟، كيف نطمع في النّهضة والتّقدم ونحن أنفسنا من يُهين ويدمّر اللّغة العربيّة ويحكم عليها بالإقصاء ، بعيداً عن جوّ مؤامرات الاحتلال والغزو الثّقافي المُفتعل (المرض الوهمي) ،لأنّ واقعنا يُبرهن أنّنا نحن الذين نغزو ثقافتنا ولُغتنا ونستورد ثقافات الآخرين بمحض إرادتنا .

وهنا أتوجه باللّوم بالدَّرجة الأولى على الأجهزة الحكوميّة (وزارة الثّقافة) إذ ينبغي عليها متابعة ومراقبة تلك اللّوحات الدّعائية وما تحمله من تشويش أخلاقي وعلمي يخدش الذّوق العام و يُشوّه المظهر الحضاري والجمالي للمدينة ويسئ إلى أعلامها ورموزها من الأدباء والعلماء والمثقّفين والمفكّرين ، لذا ينبغي على تلك الأجهزة الحكوميّة أن تمنع نصب أيّ لوحة دعائيّة ما لم تحصل على موافقة خطّيّة من لجانٍ لُغويّة مُشكّلة من أساتذة اللّغة العربيّة في جامعاتنا، بحيث لا تُعلّق اللّوحة إلا بعد التّأكُّد من سلامتها من الأخطاء اللُّغوية والتّعدّيات الأخلاقيّة ، وفرض غرامة مالية على المخالفين والمُتعدّين على القواعد اللّغة العربيّة ،حتى لا نصبح محطّ سُخريّة واستهزاء واستخفاف من العجم قبل العرب ،لأنَّ الشّوارع

تعكس واقع المجتمع من حيث العلم والجهل،والتّقدّم والتّخلف،والالتزام والانحطاط ، وأنا أقترح على جهاز الحرس البلدي التّعاون مع الجامعة لتشكيل لجنة مُختصّة من أهل اللّغة العربيّة في هذا الشّأن .

التّطلّع:

وهذه الانتهاكات اللُّغويّة الّتي أشرت إلى بعضٍ منها إنّما هي تحصيل حاصل للضّعف العام للُّغة العربيّة في مُؤسّساتنا التّعليميّة، وهذا يُلقي بالمسؤوليّة على عاتق أساتذة اللُّغة العربيّة في تلك المؤسسّات ، إذ ينبغي عليهم إعادة النّظر في آليّة طرحهم للُّغة العربيّة والبُعد قدر المُستطاع عن نمطيّة ورتابة المحاضرة التي مللنا من سماعها، وتقسيم المقررّ إلى عملي ونظري أُسوة بالعلوم التّطبيقيّة ، بحيث يشتمل الجانب العملي على ممارسات وسلوكيّات عمليّة لتَعلُّم اللُّغة العربيّة ،ولا بأس من استخدام معامل الحاسوب في هذا الجانب، فمثلاً على سبيل المثال –لا الحصر– يَطلب الأُستاذ من الطلّاب طباعة نبذة مختصرة –لا تتجاوز الصفحة– عن فضل الصّلاة ، وكل طالب يقوم بعرض الورقة أمام زملائه ويقوم المعلّم بالتّصويب الفوري للأخطاء اللُّغويّة أمام الطُّلاب في جوٍّ حواري حضاري،أو يقوم المعلّم بتوزيع مقالات أو قُصاصات ورقيّة بها أخطاء مقصودة ويطلب المعلّم من الطّلاّب تصويبها لُغوياً ، أو يشارك الأستاذ الطُّلاب في صفحة رقميّة للدّردشة على شبكة المعلومات الدّولية داخل المعمل ويتم تبادل النقاش والحوار حول موضوع ما ؛ وأثناء ذلك يقوم المعلّم بتوجيه الطّلاب وتصويب الأخطاء اللّغوية بشكل مُتوازي مع ما تم دراسته في الجانب النّظري، والأمثلة العمليّة كثيرة لا مجال لحصرها وتفصيلها ، المُهمُّ أنّنا إذا أخلصنا النّية وأخذنا الأمر بجديّة وأعملنا عقولنا ، فإنّنا سنبتكر المزيد والمزيد من الطُّرق العمليّة لتعليم اللُّغة العربيّة ، ومن ثَمّ نكسب عدّة أمور منها : تقليص الفجوة الوجدانيّة بين الطالب وبين لُغته ،وكذلك سيدرك الطّالب أهميّة اللُّغة العربيّة وكيفيّة تطبيق القواعد اللُّغوية في حياته العمليّة،و مثل هذه الطرق العمليّة ربما تُغنينا عن الجانب النظري للُّغة وتوفّر علينا عناء التّعب والجهد.

أنا لم أكتب هذا المقال بصفتي مُتخصص في اللّغة العربيّة ؛فأنا لست إلّا ضحيّة تصرخ وتتوجّع من الوضع الذي آلت إليه اللُّغة العربيّة داخل مؤسساتنا التعليمية ووسط شوارعنا وأسواقنا، ولكن الخوف والغيرة على لُغتي وهُويّتي من الذّوبان والتّلاشي هو الذي دفعني للخوض في هذا المضمار رغم المسافة الّتي تفصلني عن التّخصص الدّقيق.

أخي القارئ إنك إذا قمت بزيارة ميدانيّة إلى أحد مراكز تعليم(تصدير) اللّغة الانجليزية لوجدتهم يتسابقون ويتفنّنون في اختراع الطرق والأساليب العمليّة والتّربوية الّتي من شأنها أن تُسهّل على الطالب تعلّم اللُّغة الانجليزيّة بحيث يجعلون من تعلُّمها مُتعة،فما الّذي يمنعنا من أن تستفيد من هذه الطّرق لتعليم لُغتنا العربيّة؟.

إن الحلّ لأزمة اللُّغة العربيّة (داخل شوارعنا ومؤسّساتنا التّعليميّة) لا يُكلّف المليارات، ولا يحتاج إلى عناء ، حلٌّ بسيط وسهل وسريع يكمن في تفعيل الأجهزة الحكوميّة، وإعادة النّظر في تلك الطُّرق التّقليديّة الّتي تدرّس بها اللُّغة العربية والعمل على تطويرها وتغيرها وفق المعايير العلميّة والتّربويّة بحيث ننقل اللُّغة العربيّة من حيّز التّنظير إلى حيّز التّطبيق والعمل الميداني الجادّ ، وإمكانيّة الاستفادة من التّقنيات الحديثة من مواقع وبرامج رقميّة لترسيخ قواعد اللّغة العربيّة ، و أن نركّز أشدّ التّركيز على الجانب العملي والتّطبيقي باعتباره أصلاً وقاعدة للُّغة،وإعطائه الحجم الأكبر من الاهتمام، بحيث نجعل من اللُّغة العربيّة لُغة حيّةً تستقيم عليها ألسنتنا ،فكلّما ابتعدنا عن نمطيّة المحاضرة والتَّلْقين النَّظري وركّزنا على الجانب العملي استطعنا أن نُحدث تغييراً جذرياً ملموساً في وقت قياسي ،ونُحقّق الأهداف المرجوّة من تعليم اللّغة العربيّة.

التّوصيات

1. الاعتماد بشكل كبير على الجانب العملي للّغة العربيّة .
2. تقسيم مادّة اللغة العربيّة إلى جانب عملي ونظري.
3. فصل مادّة الإملاء والنّحو والتّعبير والإنشاء الشّفوي عن بعضها البعض.
4. دعم اللّغة العربيّة في وسائل الإعلام .
5. تنشيط وتفعيل دورات اللّغة العربيّة.

المراجع

1. ملتقى الجامعات الأفريقية النّاطقة بغير العربية – الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية – زليتن – ليبيا

2. الملتقى الوطني للتّربية والتّعليم– وزارة التّربية والتّعليم – مصراتة– ليبيا

3. محاضرات الأستاذ الدّكتور محمّد عويس – الجامعة الأسمريّة للعلوم الإسلاميّة